مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية

فصلية علمية محكمة تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

دعوى عجمة الإمام البخاري: عرض ونقد

د. سعد فجحان الدوسري

عضو هيئة التدريس بقسم التفسير والحديث، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
بجامعة الكويت

مجلس
النشر العلمي

جامعة الكويت
KUWAIT UNIVERSITY

ISSN: 1029-8908

العدد ١٣٨ - السنة ٣٨

ربيع الأول ١٤٤٦ هـ - سبتمبر ٢٠٢٤م

البحث الثاني

دعوى عجمة الإمام البخاري
عرض ونقد

د . سعد فجحان الدوسري

عضو هيئة التدريس بقسم التفسير والحديث، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الكويت

للاستشهاد:

الدوسري، سعد فجحان (٢٠٢٤). دعوى عجمة الإمام البخاري: عرض ونقد. *مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية*، ٣٩ (١٣٨)، ٤٧-٨٢.

To cite:

Al-Doausari, S. F. (2024). A foreigner Al-Bukhari's lawsuit: View and critique. *Journal of Sharia and Islamic Studies, 39*(138), 47-82.

Doi:

دعوى عجمة الإمام البخاري
عرض ونقد

د . سعد فجحان الدوسري*

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٣/٣ تاريخ الإجازة: ٢٠٢٣/٥

ملخص البحث

فكرة البحث الرئيسة بيان الدعوى التي أطلقت عن البخاري باتهامه بالعجمة وعرضها ثم نقدها، وتكمن أهمية البحث في أنَّه يتعلق بمؤلف أصح كتاب من كتب السنة النبوية، وأنَّ هذه التهمة من ضمن التهم الكثيرة التي كيلت عن الإمام البخاري وهي باطلة، حيث هي وغيرها - في الحقيقة- شُبَهٌ لا ترتقي إلى الأدلة الواضحة، وقد قيلت فيه في كتابه الجامع الصحيح، كان الغرض منها إسقاطه وإسقاط كتابه، **وتتمثل إشكالية البحث** في تحقيق دعوى عُجمة البخاري التي أطلقها المستشرقون، ببيان أدلتهم وأصل شبهتهم، وغرضهم من إطلاقها، مع البحث من واقع شخصية البخاري ومن واقع صحيحه في الرد عليها، وكشفها، كما أن البحث **يهدف** إلى بيان هذه الشبهة التي تقول إن أصوله أعجمية، وإنه ضعيف بسببها في العربية، ثم الرد على ذلك، لهذا درس الباحث ذلك، وأثبت بالأدلة القاطعة إمامة البخاري في العربية، وسلامة كتابه من الخطأ في العربية، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يسلك الباحث **المنهج** الاستقرائي والتحليلي، **ومن أبرز النتائج التي توصل لها الباحث** الوقوف على حقيقة شبهة اتهام البخاري بالعجمة والضعف في العربية، والغرض الذي لأجله تم إطلاقها؛ والرد عليها مع تفنيدها، والإثبات بالأدلة الواضحة من

(*) سعد فجحان الدوسري، يحمل شهادة الدكتوراه في الحديث الشريف وعلومه ، من جامعة الأزهر ، كلية أصول الدين، القاهرة، سنة ٢٠٠٨م . ودرجة الماجستير، تخصص حديث شريف وعلومه من كلية الشريعة ، جامعة الكويت، سنة ٢٠٠١. ودرجة الليسانس، تخصص حديث شريف وعلومه من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٩٩٦. وله عدة كتب مطبوعة منها: كتاب «قواعد رفع الاختلاف في الحديث النبوي»، وكتاب «أحكام تعمير المنازل والسكنى فيها»، وتحقيق كتاب «إرشاد الغاوي بل إسعاد الطالب والراوي للإعلام بترجمة السخاوي» للحافظ السخاوي.

الاهتمامات البحثية: علوم الحديث ، والعلل وتخريج الأحاديث ، وفقه الحديث.

البريد الإلكتروني: drsaadfd@gmail.com

حقوق الطبع والنشر محفوظة - مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

واقع ترجمة البخاري أنه عالم في العربية، وكتابه الصحيح يدل على علو كعبه فيها وإتقانه لها، وذلك من خلال كلامه على الأبواب وشرح الغريب لذا **يرى الباحث** ضرورة العناية بصحيح البخاري من ناحية اللغة، والرد على المخالفين الذين تكلموا على البخاري في بعض اختياراته اللغوية وتوضيح وجه اختياراته.

الكلمات المفتاحية: البخاري – شبهة – عجمة – العربية.

A foreigner Al-Bukhari's lawsuit View and critique

*Dr. Saad Fajhan Al-Doausari**

Submitted Date: 3/2023 **Accepted Date: 5/2023**

Abstract

The main idea of the research is to explain the claim that was launched against Al-Bukhari by accusing him of being illiterate. **The importance of the research** lies in that it relates to the author of the most authentic book among the books of the Prophet's Sunnah, and that this accusation is among the many accusations that were made against Imam Al-Bukhari and it is false, as it is and others - in fact. - A suspicion that does not rise to clear evidence, and it was said about him in his book Al-Jami' Al-Sahih, the purpose of which was to overthrow him and his book. **The problem of the research** is represented in investigating the claim of the ignorant of Al-Bukhari made by the orientalists, by explaining their evidence, the basis of their suspicion, and their purpose in it, with research from the reality of Al-Bukhari's personality and from the reality of It is authentic in responding to it, **and the research aims to** explain this suspicion and that its origins are foreign, and that it is weak in Arabic, then respond to it and reveal the falsity of those who said it. That is why the researcher studied all of that, and proved with conclusive the integrity of his book from grammaticalism and errors in the language. The research required that the researcher adopt **the inductive and analytical approach**, and the most **prominent results reached** It was to know the truth about the

(*) Member of Faculty at Interpretation & Hadith, Sharia & Islamic Studies Collage, Kuwait University, Email: dr.saadfd@gmail.com

All Rights Reserved - Academic Publication Council - Kuwait University.

suspicion with which Al-Bukhari was accused of weakness in Arabic, and the goal for which it was launched. It is not to use Al-Bukhari as evidence, and to refute it and say that it is false, and to prove that with evidence from the reality of Al-Bukhari's life and from the reality of his book,so the researcher sees the need to pay attention to Sahih Al-Bukhari from the linguistic standpoint, and to respond to those who disagreed with Al-Bukhari regarding some of his linguistic choices and clarify the nature of his choices.

Keywords: Al-Bukhari - Suspicion - Ajama - Arabic .

مقدمة

إن الإمام محمد بن إسماعيل البخاري - رحمه الله - ظُلِمَ كثيرًا في حياته وبعد موته، وغيبت حقائق كثيرة تتعلق به وبصحيحه، وفي عصرنا هذا حاول بعض المغرضين تغطية شمسه بغربال الشبهات، أو محو نوره بمداد الظلام، لكن هيهات.

حجج تهافت كالزجاج تخالها حقّاً وكـل كاسر مكسور

فالإمام البخاري كثيراً ما يُتَّهمُ جزافاً، ويُطْعَن فيه بدون حجة، والغرض منه الحط من شخصيته، والطعن في كتابه الجامع الصحيح.

وهذه الشبهات كثيرة ومتجددة، أطلقها المستشرقون قديماً[1]، ثم تتابع على ترديدها، والنفخ فيها من عميت بصيرته، وانحرفت جادته ممن جاء بعدهم.

أهمية البحث

إن معرفة قدر العلماء والدفاع عنهم من الواجبات المتحتمات على الباحثين في هذا العصر، لا سيما إذا كان الأمر متعلقاً بسنة الرسول ﷺ، وبأصح كتاب جمعها ودونها، وهو صحيح الإمام البخاري.

فاقتضى الأمر كشف حقائق هذه الشبهات، وعرضها، ونقدها؛ قياماً بواجب الدفاع عن هذا الكتاب الفذ ومصنفه أمير المؤمنين في الحديث، ودفعاً للتلبيس على جهلة الناس.

كما أن الكلام على هذه الشبهة دون غيرها من الشبهات التي قيلت عن الإمام البخاري هو لأنها متجددة، ويتم ترديدها بين الآونة والأخرى، بل قد تم إطلاقها من بعض متعصبة المذاهب الفقهية لرد رواية خالفت مذهبهم.

كذلك القيام بالذب عن هذا الإمام العظيم وكتابه الصحيح هو في الحقيقة ذب عن السنة النبوية؛ ورد عن الشريعة الإسلامية، فهي تتعلق بالأصل الثاني من أصول التشريع.

مشكلة البحث

دعوى عُجمة البخاري أطلقها المستشرقون، ويرددها بعض من تأثر بهم ومن يردد كلامهم دون فهم، لذا جاءت هذه الدارسة للإجابة على بعض الأسئلة، وهي كالتالي:

(١) مثل المستشرق جولد تسيهر في كتابه (دراسات إسلامية)، والمستشرق شاخت في كتابه (أصول الفقه المحمدي) وغيرهم.

١ - ما أدلة القائلين بهذه الشبهة ؟ وهل تصل في الحقيقة إلى أن تكون حجة ؟

٢ - ما أصل هذه الشبهة ؟ وما غرض القائلين بها ؟

٣ - وهل يوجد أدلة من واقع شخصية البخاري -حتى في غير كتابه الصحيح -على مخالفته للغة العربية ؟

٤ - هل يوجد أدلة من واقع صحيح البخاري على مخالفته للغة العربية ؟

أهداف البحث

١ - الوقوف على شبهة القائلين بضعف البخاري في اللغة العربية ومناقشتها.

٢ - محاولة حصر جميع الحجج والأدلة التي استدل بها الطاعنون على البخاري في وصفه بالضعف في اللغة العربية.

٣ - بيان الجهود العظيمة التي بذلت في الذب عن البخاري وعن صحيحه عامة وفي رد هذه الشبهة خاصة

٤ - معرفة مدى الدقة والأمانة عند البخاري في نقل الحديث والعناية بعربيته من خلال صحيحه.

٥ - وصل الأمة بتاريخها المجيد المتعلق بضبط الحديث ونقل السنة النبوية والذب عنها وعن حملتها.

الدراسات السابقة

انبرى للدفاع عن الإمام البخاري علماء كثيرون، وتنوعت دفاعاتهم بتنوع الشُّبَهِ التي أثيرت حول البخاري وحول صحيحه، ومن الشبه التي أثيرت حول البخاري شبهة أعجميته وأنه ليس عربياً، وممن أثارها كثيرون منهم رشيد إيلال وعلي الكوراني وغيرهم، وقد رد عليهم في هذه الشبهة علماء ومفكرون منهم:

- دفع الشبهات عن السنة النبوية، د. عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي، مكتبة الإيمان، القاهرة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، وقد دافع الشيخ عن السنة النبوية عامة والبخاري خاصة، لكنه أتى على ذلك كله بالاختصار.

١ - كتاب إعلاء البخاري تثبيت مكانة الإمام البخاري وصحيحه من خلال رد الشبهات

حولهما» لعبدالقادر بن محمد جلال، تقديم: علي محمد العمران، طبع: دار سلف، وقد ذكر الشبهة الأولى المتعلقة بشخصية البخاري، وقد ذكر خمسة ردود على هذه الشبهة .

٢ - مقال (هل كان الإمام البخاري يعرف العربية؟) بقلم الشيخ مروان الكردي مقال في موقع منتدى العلماء https://www.msf-online.com وهو مقال أجاد فيه الكاتب وأفاد، وأتى على كثير من الردود على هذه الشبهة، لكن فاته الدلائل العملية التطبيقية على إمامة البخاري في العربية من خلال كتابه الصحيح .

٣ - بحث (فارسية البخاري وتمكنه في الحديث) إعداد هيئة التحرير بمركز سلف https://salafcenter.org/1616 وقد أتوا على بعض الردود على هذه الشبهة، وفاتهم كثير .

والجديد الذي سأضيفه في هذا البحث ما يأتي:

١ - استقصاء جميع الحجج التي أطلقها الطاعنون على البخاري في هذه الشبهة والرد عليها

٢ - بيان الرد على هذه الشبهة من واقع صحيح البخاري وواقع شخصيته مما لم يرد عند من ذب عن البخاري أو دافع عنه، وذلك بذكر الدلائل العملية التطبيقية على إمامة البخاري في العربية من خلال كتابه الصحيح واختياراته اللغوية .

٣ - الوقوف على شهادة أهل العربية وعلمائها في مدح البخاري وصحيحه.

إجراءات البحث:

١ - عزو الآيات بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٢ - إذا كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما فأكتفي بالعزو له دون غيره من المراجع، وذلك بذكر اسم الكتاب والباب ورقم الحديث .

٣ - أما إذا كان الحديث في غير الصحيحين، فإن كان في السنن الأربع فأكتفي بالعزو لها، وإن كان خارج السنن، فأخرجه من مصادره الأصلية كالمسانيد والمعاجم والمصنفات مع ذكر من حكم عليه من الأئمة،، وأدرس كل رجال السند لمعرفة درجة الحديث من الصحة وغيرها .

٤ - شرح الكلمات الغريبة الواردة في البحث.

٥ - توثيق جميع النصوص التي يتم نقلها من مصادرها الرئيسة.

منهج البحث

سرت في البحث وفق المنهج الاستقرائي والتحليلي.

خطة البحث

اقتضت طبيعة البحث أن أقسمه إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة، أما المقدمة ففيها بيان أهمية البحث وأهدافه وإجراءاته وغير ذلك، وأما المبحث الأول فتكلمت فيه عن شبهة الطعن على البخاري بنسبته إلى الأعجمية وأنه فارسي الأصل ثم بيان الرد على ذلك، وأما المبحث الثاني فتكلمت فيه عن شبهة الطعن على البخاري بضعفه في اللغة العربية، وأدلة الطاعنين عليه في ذلك، ثم الرد عليها كلها.

ثم الخاتمة، وبينت فيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول
شبهة الطعن على البخاري بنسبته إلى الأعجمية وأنه فارسي الأصل

من الأمور التي أثيرت عن الإمام البخاري أنه من العجم وليس من العرب، فكثير ممن ترجم له نسبه إلى ذلك وأنه من بخارى.

المطلب الأول: بيان الشبهة ووجه رد الحديث بسببها

كثير ممن ترجم للإمام البخاري ذكر أن البخاري اسمه محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي مولاهم.

فبردزبه اسم أعجمي بمعنى الفلاح أو الزارع[١]، ونسبته للجعفي نسبة ولاء الإسلام، يقول الذهبي: «ابن المغيرة بن بردزبه، وقيل: بذدزبه، وهي لفظة بخارية، معناها الزراع. أسلم المغيرة على يدي اليمان الجعفي والي بخارى، وكان مجوسياً»[٢].

وقد أثرت العجمة فيه حتى وصلت على نطق الحروف عنده، حتى كان في لسانه عي، والدليل على ذلك ما قاله صالح بن محمد الأسدي المعروف بـ(جزرة)عن البخاري: «ما رأيت خراسانياً أفهم منه، لولا عي في لسانه»[٣].

فقالوا: كيف نأمن على حديث النبي - ﷺ - والذي جمع هذه الأحاديث هو رجل فارسي أعجمي في لسانه عيٌّ بسببها ؟[٤]

قال رشيد أيلال: «الشيخ البخاري ذو أصل فارسي، فاللغة العربية ليست لغته الأصلية»[٥].

---

(١) ناجي معروف، عروبة العلماء المنسوبين للبلدان الأعجمية، طبع وزارة الإعلام، العراق ١٩٧٤م (٢/٤٣) .

(٢) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة محققين، طبع: مؤسسة الرسالة، (٢٣/٣٨٣) .

(٣) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، موضح أوهام الجمع والتفريق، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، دار النشر: دار المعرفة، ١٤٠٧ هـ (١/١٥) .

(٤) أطلقها رشيد أيلال، صحيح البخاري، نهاية أسطورة، طبع دار الوطن، المغرب، الطبعة الأولى ٢٠١٧ م (ص/١٦٤).

(٥) المصدر السابق .

فمحتوى هذا الاتهام التشكيك في مصداقية نقله للأحاديث، فكيف يقال عن كتابه أنه أصح الكتب بعد كتاب الله؟ وكتاب الله - عَزَّ وَجَلَّ - نزل بلسان عربي مبين، والسنة النبوية ينبغي أن تكون بلسان عربي مبين.

كما أن في هذا الاتهام إسقاط الاعتماد على صحيحه[1]؛ لأنه يروي الحديث بالمعنى، ومعلوم عند أهل الاختصاص أن رواية الحديث بالمعنى لا تجوز إلا لمن كان عالمًا بالمعاني العربية، مقتدرًا على استخدامها، فإذا ثبت أن البخاري أعجمي اللسان، فمعنى هذا أن المتون التي يرويها في صحيحه مشكوك فيها.

كما أن البخاري من منهجه أنه قد يُقَطِّع الحديث، ويختصره، وهذا لا يكون إلا لمن كان فصيحاً متمكناً من العربية.

المطلب الثاني: الرد على شبهة نسبته للعجم

إن منطلق الطاعنين على البخاري في أعجميته أن البخاري نشأ في بلاد خراسان وما وراء النهر، وهي بخارى وهي من بلاد فارس، وأهلها يتكلمون الفارسية، وبالتالي يظن هؤلاء المعاصرون أن الإمام البخاري يتكلم بلغة قومه، ولا يتقن لغة القرآن إلا بعض الكلمات، كما نراه من بعض الأعاجم اليوم الذين لا يتقنون مثلًا إلا سورة الفاتحة أو نحوها من الأذكار، فهم يحاولون أن يصوروا الإمام البخاري بأنه عي اللسان، ثقيل الكلام، لا يفهم عليه أحد، ولا يتعلم عليه بشر.

ممن تولى كبر هذا الأمر بعض الرافضة أمثال علي الكوراني، وكذلك بعض العقلانيين والحداثيين أمثال رشيد أيلال وغيره ممن ما فتئوا يؤلفون في التشكيك في السنة عموماً وفي صحيح البخاري خصوصاً.

والرد على هذه الشبهة كالآتي:

أولاً: هذه الشبهة لم يذكرها كل من نقد كتاب البخاري وتكلم على رجاله قديماً كأبي زرعة والدارقطني وغيرهم، إنما تم إطلاقها حديثاً، وقد عرف سبب إيراد هذه الشبهة، والغرض الذي من أجله تم من إطلاقها.

(١) كما فعل « محمود أبو رية» - في كتابه « أضواء على السنة المحمدية» (ص/٢٠).

ثانياً: اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، ولغة الحديث النبوي، فقد قال الله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء:١٩٩٣-١٩٩٥]، أي أن هذا القرآن نزل بلسان عربي مبين، والنبي – ﷺ – أفصح من نطق بلغة الضاد، فهو العربي، وهو الذي علم الناس أساليب اللغة العربية، والإمام البخاري اشتغل بحديث رسول الله ﷺ النبي العربي الذي إذا تكلم أبدع في كلامه، وإذا قال أتى بجوامع الكلم.

فالعربية لسان، وليست نسبة فقط، لأن الله – سبحانه وتعالى – يقول في كتابه الكريم عن أولئك الذين اتهموا النبي – ﷺ – بأنه يأخذ القرآن من رجل أعجمي: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل:١٠٣]، حيث يبين الرب – سبحانه وتعالى – قضية اللسان، ولم يتكلم عن النسب، بمعنى ما دام هذا الذي تنسبون القرآن إليه لسانه أعجمي، وليس أصله ونسبه أعجمي، فيستحيل أن يأتي بمثل هذا القرآن، والذي جاء به القرآن الكريم هو لسان عربي مبين، فالقضية قضية لسان، وليست قضية أصل ونسب.

لذا قد يكون الإنسان عربياً بنطقه للعربية؛ حتى ولو كان نسبه ليس عربياً على القول الصحيح، وهناك تفصيل جميل لابن تيمية-رحمه الله- في اسم العرب ومن يطلق عليه حيث يقول: «اسم العرب في الأصل كان اسما لقوم جمعوا ثلاثة أوصاف. أحدها: أن لسانهم كان باللغة العربية، الثاني: أنهم كانوا من أولاد العرب، الثالث: أن مساكنهم كانت أرض العرب وهي: جزيرة العرب، التي هي من بحر القلزم إلى بحر البصرة ومن أقصى حجر باليمن، إلى أوائل الشام، بحيث كانت تدخل اليمن في دارهم، ولا تدخل فيها الشام، وفي هذه الأرض كانت العرب، حين المبعث وقبله. فلما جاء الإسلام وفتحت الأمصار سكنوا سائر البلاد، من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب، وإلى سواحل الشام وأرمينية وهذه كانت مساكن فارس والروم والبربر، وغيرهم. ثم انقسمت هذه البلاد قسمين:منها: ما غلب على أهله لسان العرب حتى لا يعرف عامتهم غيره، أو يعرفونه وغيره، مع ما دخل على لسان العرب من اللحن، وهذه غالب مساكن الشام، والعراق، ومصر، والأندلس، ونحو ذلك، وأظن أرض فارس وخراسان كانت هكذا قديما. ومنها: ما العُجْمة كثيرة فيهم، أو غالبة

عليهم، كبلاد الترك، وخراسان وأرمينية، وأذربيجان ونحو ذلك. فهذه البقاع انقسمت: إلى ما هو عربي ابتداء، وإلى ما هو عربي انتقالا، وإلى ما هو عجمي.. وكذلك انقسموا في اللسان ثلاثة أقسام: قوم يتكلمون بالعربية لفظا ونغمة. وقوم يتكلمون بها لفظا لا نغمة، وهم المتعربون الذين ما تعلموا اللغة ابتداء من العرب، وإنما اعتادوا غيرها، ثم تعلموها، كغالب أهل العلم، ممن تعلم العربية. وقوم لا يتكلمون بها إلا قليلا. وهذان القسمان، منهم من تغلب عليه العربية، ومنهم من تغلب عليه العجمية، ومنهم من قد يتكافأ في حقه الأمران: إما قدرة، وإما عادة» ا.هـ[1].

ثالثاً: العربية كما تقدم ليست عرقا ونسباً فقط، بل هي لسانٌ ولغة، فلا يمنع من لم يكن عربي النسب أن يبرع فيها ويتقنها أكثر من أهلها، فقد برع في لسان العرب كثير من العلماء الذين لم يكونوا من أصل عربي، بل صاروا شيوخ العربية بلا منازع، أمثال سيبويه (ت١٨٠هـ) الفارسي الأصل؛ الذي لا يشك أحد في عربية لسانه، وعلو كعبه في علومها، كيف لا وهو صاحب كتاب «الكتاب»؟ أشهر كتاب صُنِّف في النحو، فهل يستطيع أحد أنْ يطعن في سيبويه وفي عربيته بمجرد كونه فارسيًّا؟.

وكذلك أبو علي الفارسي (ت٣٧٧هـ) أحد أئمة العربية، وهو صاحب كتاب «الإيضاح»، الذي نشأ وعاش في بلاد فارس، فلم ينقم عليه أحد في عربيته، ولا رد كلامه عليه بكونه فارسي الأصل والنسب.

وكذلك ابن جني(ت٣٩٢هـ) الرومي، اليوناني الأصل، صاحب كتاب «الخصائص» و«اللمع»، وغيرهم.

فالإمام البخاري من قبيلهم، فهو وإن كان أعجمي النسب، لكنه عربي اللسان فصيحه.

قال ابن خلدون:» كان صاحب صناعة النحو سيبويه والفارسي من بعده والزجاج من بعدهما، وكلهم عجم في أنسابهم. وإنما ربوا في اللسان العربي، فاكتسبوه بالمربى ومخالطة العرب، وصيروه قوانين وفناً لمن بعدهم»[2].

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني الدمشقي، اقتضاء الصراط المستقيم، تحقيق: د. ناصر عبدالكريم العقل، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض (١/ ٤٥٤) باختصار وتصرف.

(٢) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الإشبيلي، المقدمة، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، الناشر: دار نهضة مصر للطبع والنشر، (ص/ ٣٤٩) .

رابعاً: الذي يظهر من أجداد البخاري أنهم وإن كانوا من الفرس، لكن جده المغيرة لما أسلم على يدي والي بخارى اليمان الجعفي، أضحت اللغة العربية لغة له، وأصبح العلم ديدنه، ثم ورثه إلى ابنه إسماعيل الذي كان محدثًا، لذا قال الإمام البخاري عن والده وهو يترجم له: «رأى حماد بن زيد، صافح ابن المبارك بكلتا يديه، وسمع مالكاً»[(١)]، فأبوه كان محدثاً، وذلك يحتاج إلى العلم بالعربية، وقد كان كذلك، لذا نشأ البخاري في بيت علم وعربية وإن لم يكن نسبه عربياً.

يقول ابن تيمية رحمه الله: «كان المسلمون المتقدمون لما سكنوا أرض الشام ومصر ولغة أهلهما رومية، وأرض العراق وخراسان ولغة أهلهما فارسية، وأهل المغرب ولغة أهلها بربرية، عودوا أهل هذه البلاد العربية حتى غلبت على أهل هذه الأمصار مسلمهم وكافرهم، وهكذا كانت خراسان قديمًا»[(٢)].

خامساً: التبجح بالعربية، وتعيير بعض العلماء بالأعجمية، هو في الحقيقة مخالف لكتاب الله - عَزَّ وَجَلَّ - وسنة رسوله ﷺ، فقد أمرنا الله سبحانه أن نحكم على الناس من خلال أعمالهم، وليس من خلال أنسابهم، فقد أخبر في كتابه الكريم أن يوم القيامة العبرة ستكون بالأعمال وليست بالأنساب: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[المؤمنون:١٠١].

وفي الحديث قال ﷺ (من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه)[(٣)].

ودين الإسلام دين العدل والعلم، يرفع العبد العالم المملوك فيجلسه على سرير الملوك، وكم من أعجمي خالط العرب وتعلم فرفعه الله بالعلم حتى أصبح إمامًا على العرب، ولا أدل على ذلك من عكرمة البربري الذي كان مولى لابن عباس، فأخذ منه العلم، فلما توفي ابن عباس تبوأ منزلته، وصار العرب تحت يديه يطلبون العلم منه، ويكتبون الحديث عنه، فلم يكن عندهم -في سبيل العلم- عصبية ولا تمييز، وإنما العبرة بالعلم.

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، التاريخ الكبير، تحقيق: هاشم الندوي وآخرون طبع: دائرة المعارف العثمانية، تصوير دار الكتب العلمية (١/٣٤٣) .

(٢) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم (١/٥٢٦) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، حديث (٧٠٢٨) .

سادساً: اللغة العربية لغة الدين، وارتباطها بالعلم والدين ارتباط وثيق، وقد كان عمر – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – ينصح بها فيقول: «تعلموا العربية» [(١)].

فهذا هو المبدأ عند المحدثين خاصة، فالعربية عندهم يعتبرون تعلمها من الدين، وتعلمهم لها هو من باب التدين، لذا يقول ابن تيمية رحمه الله: «اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب؛ فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»[(٢)].

بل جعلها بعضهم مقياس التفاضل في الدنيا والآخرة، فقد قال سلم بن قتيلة: «كنت عند ابن هبيرة الأكبر، فجرى الحديث حتى جرى ذكر العربيّة، فقال: والله ما استوى رجلان دينهما واحد وحسبهما واحد ومروءتهما واحدة، أحدهما يلحن والآخر لا يلحن؛ إن أفضلهما في الدّنيا والآخرة الذي لا يلحن. قلت: أصلح الله الأمير، هذا أفضل في الدّنيا لفضل فصاحته وعربيّته، أرأيت الآخرة ما باله أفضل فيها؟ قال: إنه يقرأ كتاب الله على ما أنزله الله، وإن الذي يلحن يحمله لحنه على أن يدخل في كتاب الله ما ليس فيه ويخرج منه ما هو فيه. قال: قلت: صدق الأمير وبرّ»[(٣)].

ولا شك أن الإمام البخاري كان مستحضرًا لهذا الأمر المهم، لذلك تعلم اللغة العربية في صغره.

---

(١) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٣٤٢) عن أبي عثمانَ النهدي، عن عمرَ بنِ الخطابِ – رضي الله عنه – أنَّه قال: « تَعَلَّموا العَرَبيَّةَ «. وإسناده متصل، ورجاله ثقات . كما أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١١٣٢) عَنْ أَبِي عُثْمَانَ قَالَ: «كَانَ فِي كِتَابِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تَعَلَّمُوا الْعَرَبِيَّةَ».
وأما الأثر المنقول عن عمر بن الخطاب بلفظ «تعلموا العربية ؛ فإنها تثبت العقل، وتزيد في المروءة «، فإنه لا يصح، فقد أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٦٨/٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٥٥٦) والخطابي في «غريب الحديث» (١/ ٦٠)، والخطيب في «الجامع» (٢/ ٢٥) دون قوله: «تثبت العقل»، وأبو طاهر المقرئ في «أخبار النحويين» (ص٣٢) وغيرهم، من طريق عبد الوارث بن سعيد، قال: حدّثني أبُو مُسلم –رجُل من أهل البصرة– قال: قال عُمرُ: « تعلّمُوا العربيّة ؛ فإنّها تُثبّتُ العقل، وتزيدُ في المُرُوءة «.
وأبو مسلم راوي الأثر عن عمر: مجهول ؛ ذكره البخاري في «التاريخ الكبير» (٦٨/٩)، ولم يبين حاله، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً .

(٢) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم (٥٢٧/١) .

(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، طبع دار الفكر، دمشق ط١ ١٩٨٤م، (١٦٣/١٩).

سابعاً: العربية لسان الشرع، وليست عصبية من العصبيات، ولا يضر الإمام البخاري أن كان أصله أعجميًّا، فكثير من علماء الحديث كانوا أعاجم، أمثال إسحاق بن راهويه وهو شيخ الإمام البخاري،، ويحيى بن معين، وأبو داود السجستاني، والإمام الترمذي، وابن ماجه وغيرهم كثير، فهؤلاء كلهم حملوا علم حديث الرسول -ﷺ- وبرزوا فيه، وبرعوا في ذلك العلم، فإن كثيراً ممن خدم سنة النبي -ﷺ- من الأعاجم، وها نحن في العصور المتأخرة نجد أن علماء الهند هم أكثر من اعتنى بعلم الحديث رواية وتدريسًا وشرحًا، مع أن لغتهم العربية ليست باللغة الأصلية، لكنهم متقنون لهذه اللغة، وعارفون لدقائقها.

والعلماء العرب الأكابر لم يجعلوا العربية محل عصبية لهم، ولا مجالاً لتقديمهم على غيرهم بمجرد أنهم منها لذا نقل عن الإمام أحمد بن حنبل - رحمة الله عليه - الشيباني العربي الأصيل صليبة، أن يحيى بن معين، قال: (ما رأيت خيرًا من أحمد بن حنبل) أي لم أر رجلًا أفضل من أحمد بن حنبل، (ما افتخر علينا يومًا بالعربية ولا ذكرها)، أي أن الإمام أحمد - رحمه الله - وهو المقيم ببغداد، وهو العربي الأصيل، كان يقيم ببغداد، وكان معه من المحدثين الأعاجم، جماعة كبيرة، لم يفتخر في يوم من الأيام بعربيته، وكان رجلًا عاقلًا؛ لأنه يعلم أن الانتساب إلى اللغة العربية هو الانتساب بمعرفتها، وليس بالنسب الذي ينتسب إليه الإنسان.

وقال رجل آخر عن الإمام أحمد - رحمة الله عليه - قال: دخلت على الإمام أحمد وقلت له: أنت عربي، وأنت كذا وكذا، قال: فخرج مسرعًا، وقال: إنما نحن قوم مساكين، نحن قوم مساكين، ولا نستطيع أن نفتخر بكوننا من العرب الأقحاح؛ لأن هذا الأمر لا يزيدنا عند الله شيئًا، إنما الذي يزيدنا عن الله قربة، ويزيدنا عند الله - عَزَّ وَجَلَّ - رفعة هو فهم الكتاب والسنة بهذه اللغة العربية، وليس المقصود الانتساب فقط للغة العربية، فكم من عربي قح لم ينتفع به دين الإسلام! وكم من أعجمي خدم الإسلام ما لم يخدمه جماعة من العرب !.

المبحث الثاني
شبهة الطعن على البخاري بضعفه في اللغة العربية والرد عليها

ما ذكر من أدلةٍ على ضعف البخاري في العربية إنما هي - في الحقيقة - شُبَهٌ أثيرت حول البخاري للطعن فيه خصوصاً والطعن في السنة النبوية عموماً، وإليك هذه الشُّبه والردعليها:

المطلب الأول: شبهة كلمة صالح جزرة في البخاري

حيث قال عنه: «ما رأيت خراسانياً أفهم منه، لولا عي في لسانه»[(١)]، والعي في اللسان سببه عجميته.

الرد على هذه الشبهة

الرد على هذه الشبهة بأمرين:

الأول: إن كلمة صالح جزرة تفيد أن الإمام البخاري كان في فمه حبسة عند نطق بعض الحروف، كما يسمى عندنا الآن «اللثغة»، فبعض الناس مثلًا يكون عنده إشكال في نطق بعض الحروف في الكلمات كحرف الراء والسين وغيره، فهذا قد يكون هو الذي في لسان الإمام البخاري، وليس أنه لا يجيد العربية.

الثاني: قد يكون متقناً للغة العربية ومعانيها ودلالات ألفاظها، لكن بسبب لغته الأم وهي الفارسية قد يكون عنده اختلاف عن غيره في نطق بعض الحروف، مع المعرفة التامة للمعاني والدلالات، وهذا قد يوجد من العلماء مثل مكحول الشامي، فقد قال عنه عثمان بن عطاء: «كان مكحول رجلاً أعجمياً لا يستطيع أن يقول: قل، يقول: كل، فكل ما قال بالشام قبل منه»[(٢)]، لذا علق على هذه الكلمة لعثمان الحافظ الخطيب البغدادي كلاماً جميلاً اعتذر فيه لمكحول فقال:»أراد عثمان أن مكحولا كان عندهم مع عجمة لسانه بحمل الإمامة وموضع الأمانة يقبلون قوله ويعملون بخبره، ولم يرد أنهم كانوا يحكون لفظه، والله أعلم»[(٣)].

(١) الخطيب البغدادي، موضح أوهام الجمع والتفريق (١/١٥) .

(٢) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت، الكفاية في علم الرواية، تحقيق: أبو عبدالله السورقي، إبراهيم حمدي المدني، طبع: المكتبة العلمية - المدينة المنورة (ص/١٨٥)، وانظر المزي، يوسف بن الزكي عبدالرحمن، تهذيب الكمال، تحقيق: د. بشار عواد معروف طبع: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٠م، (٢٨/٤٧١) .

(٣) الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية (ص/١٨٥) .

وبهذا التوجيه توجه كلمة عطاء بن أبي رباح رحمه الله عنه نفسه بقوله:» وددت أني أحسن العربية»[١]، وقد يقصد بالعربية باقي فنونها كالأدب والشعر والتصريف وغيره.

والعلماء قد يكونون بجانب معرفتهم بالعربية وتضلعهم فيها قد يكون عندهم كذلك لغة قومهم الذين نشؤوا فيهم كما نقل عن الإمام إسحاق بن راهويه[٢]، فقد كان بجانب عربيته يتكلم الفارسية، يدل على ذلك قصته في مناظرته للشافعي فقد قال:»كنا بمكة، والشافعي بها، وأحمد بن حنبل. قال: وكان أحمد يجالس الشافعي، وكنت لا أجالسه، فقال لي أحمد: يا أبا يعقوب، مر، جالس هذا الرجل. فقلت له: ما أصنع به؟ سنه قريب من سننا، أترك ابن عيينة والمقبري وهؤلاء المشايخ؟! فقال أحمد: ويحك، إن هذا يفوت، وذاك لا يفوت. قال: فجالسته فتناظرنا في كراء بيوت مكة، وكان الشافعي يُساهل فيه، وكنت لا أُساهل فيه. فذكر حديثاً، وأخذت أنا في الباب أسرد عليه وهو ساكت. فلما أن فرغت، وكان معي رجل من أهل «مرو» فالتفت إليه فقلت: «مردك لا كمالا نيست» فعلم أني راطنت صاحبي بشيء هجنته فيه، فقال: تناظر؟ فقلت: لمناظرة جئت..»[٣] الخ.

المطلب الثاني: شبهة أن البخاري لم يُعْرف عنه طلب العربية ولا دراستها

وقد صرح بها رشيد أيلال حيث قال: «الشيخ البخاري ذو أصل فارسي، فاللغة العربية ليست لغته الأصلية، وكل المؤرخين والحفاظ والمحدثين والمترجمين وكتاب السير لم يتحدثوا لنا ضمن أسطورة البخاري، عن متى وكيف تعلم اللغة العربية، بل جملة ما تحدثوا عنه، هو شروعه في حفظ الحديث وهو صبي لم يتجاوز العشر سنين»[٤].

فعدم معرفة طلبه لعلوم العربية أثر عليه، فصار ضعيفاً فيها، وليس أهلاً للتأليف ولا نقل الحديث، فضلاً على أن يكون كتابه أصح الكتب.

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء (٩/٩٦) .

(٢) انظر الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت، تاريخ بغداد، الدكتور بشار عواد معروف، طبع: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢ م (٧/٣٦٢)، وانظر ابن خلكان، العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، طبع: دار صادر، بيروت (١/١٩٩)، والذهبي، سير أعلام النبلاء (١١/٣٥٨) .

(٣) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، مناقب الشافعي، تحقيق: السيد أحمد صقر، طبع: مكتبة دار التراث – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٩٧٠م (١/٢١٣) .

(٤) رشيد أيلال، صحيح البخاري، نهاية أسطورة، (ص/١٦٤) .

الرد على هذه الشبهة

شبهة أن البخاري لم يُعْرف عنه طلب العربية ولا دراستها فالرد عليها كالآتي:

الأول: أن البخاري في الحقيقة ما اشتهر بالحديث إلا بعد إتقانه لبعض العلوم الشرعية كالقرآن والفقه وعلوم العربية، فالعرف في عصره أنه لا يتصدى للتصنيف في السنة النبوية وروايتها وتحملها إلا من كانت له مكانة في علوم اللغة، كيف لا وهو من حفظ كتب أهل العلم، وسبر أغوارها، جاء في سيرته أي الإمام البخاري قال: «فلما طعنت في ست عشرة سنة، كنت قد حفظت كتب ابن المبارك ووكيع، وعرفت كلام هؤلاء»[(١)] يعني أصحاب الرأي، فكيف يكون هذا الفتى ابن ستة عشر سنة قد حفظ كتب أهل العلم، ونظر في كتب الفقه والرأي، كيف يكون أعجمياً لا يعرف العربية ؟!.

فينكر العقل أن يكون الشخص حافظاً لتلك الكتب ومهتماً بها، وهو مع ذلك لا يعرف لغتها التي كتب بها.

فالبخاري لم تمض عليه الأيام حتى تمكن من ناصية العربية، لكن طغى عليه علم الحديث واشتهر به، لذا يقول عبد الغني عبد الخالق وهو يصف الإمام البخاري بذلك الوصف: «كان أديبا بالمعنى الأعم عند المتقدمين، وهو من أدرك أسرار العربية، وعرف الأساليب البلاغية، وألم بأهم القواعد النحوية، ووقف على بعض خطب العرب وأمثالهم، وحفظ شيئاً من منثورهم ومنظومهم، سواء أزاول كتابة الرسائل ونظم الشعر، أم لا»[(٢)].

وها هو واقعنا المعاصر خير دليل على إمكانية إتقان بعض الأعاجم للغة العربية، فقد وجدنا من بعضهم من يتقن نطق العربية، وفهم معانيها، أحسن بكثير من العرب، وقد تعلموا العربية مباشرة، ولم يمروا على اللهجات العامية التي تؤثر على النطق العربي، فلا غرو حينئذ أن يتمكن الإمام البخاري من هذه اللغة، لغة القرآن، ولغة العلم، التي كانت فاشية في بخارى، وما جاورها من بلدان العلم.

الثاني: لقد عاصر الإمام البخاري في زمانه فطاحل علماء العربية، سواء في البصرة أم في الكوفة، وليس كما يظن المغرضون أن الإمام البخاري عاش في بخارى ولم يخرج منها،

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٣٨٥) .

(٢) عبدالغني عبدالخالق، الإمام البخاري وصحيحه، دار المنارة للنشر، السعودية، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ (ص/ ١٣٣).

وألف صحيحه هناك، فهذا جهل بسيرة الإمام البخاري، فقد خرج صغيرًا من بخارى، وحج مع أمه وأخيه أحمد، ثم تخلف عنهم في طلب الحديث، وطاف البلاد كالحجاز والشام ومصر والعراق، ثم أقام بين البصرة والكوفة وبغداد خمس سنين، يسمع الحديث، ويكتبه، ويصنف، والعراق آنذاك في القرن الثالث الهجري بلاد فطاحل العربية وجهابذة علماء اللغة، ومثل هؤلاء إما أن يسمع منهم أو على أقل الأحوال يستقيم لسانه بسببهم، وهو المشهور المعروف.

الثالث: كيف يُتَّهم الإمام البخاري بالضعف في العربية، وقد شهد له علماء عصره بالاجتهاد المطلق، والإمامة في الحديث والرجال والاستنباط، وهذا في الحقيقة تزكية عظيمة، ولا يمكن أن نتهم علماءنا الأجلاء ممن عاصر البخاري، أو ترجم له ممن بعده بخيانة الأمة، حيث لم يبينوا لنا أن الإمام البخاري كان ضعيفًا في العربية، أو لا يأخذ عنه بسببها، ثم هم أثنوا عليه الثناء العطر، هذا في الحقيقة خروج عن رأي جمهور الأمة ومخالفة لسبيل المؤمنين.

الرابع: اهتم المحدثون خاصة بالعربية بسبب حاجتهم لضبط الحديث عند كتابته وروايته، لذا ينقمون على من لم يحسن ذلك، فكيف بحافظ الدنيا وإمام النقل فيها وهو البخاري، ومن اهتمامهم بذلك تقديم الإمام مالك بن أنس للشافعي لقراءة عليه الموطأ دون غيره بسبب فصاحة الشافعي وسليقته العربية، مع الإمام مالك عربي قح.

وكذلك قصة سيبويه الفارسي الأصل مع شيخه حماد بن سلمة مولى ربيعة بن مالك الذي لا يجامل أحداً في العربية وضبط الحديث، والذي كان يقول: «مثل الذي يكتب الحديث ولا يعرف النحو مثل الحمار عليه مخلاة ولا شعير فيها»[(١)]، فقد كان سيبويه يستملي عليه في حلقته ليكتب الحديث ويرويه، وفي يوم من الأيام سأله سيبويه فقال له: أحدَّثك هشام بن عروة عن أبيه في رجلٍ رعُف في الصلاة، بضم العين؟ فقال له حمَّاد: أخطأت؛ إنما هو رعَف بفتح العين. فانصرف سيبويه إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي أستاذ النُّحاة، فذكر له ما كان بينه وبين حماد، فقال له الخليل: صدق حمَّاد! ومثل حماد يقول هذا، ورعُف - بضم العين - لغة ضعيفة[(٢)].

(١) الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس طبع: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٣ م (١/٢٨) .

(٢) التلمساني، أحمد بن علي المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر - بيروت، ١٩٦٨، (٤/ ٨٤) .

ثم يتكرَّر مثل هذا الموقف مرة أخرى، فبينما هو يستملي على حمَّاد قول النبي ﷺ: (ما أحد من أصحابي إلا وقد أخذتُ عليه ليس أبا الدرداء)[1]، فقال سيبويه: ليس أبو الدرداء بالرفع، وقد خمنه اسم ليس، فقال له حمَّاد -وكان شديد الأخذ-: «لحنتَ يا سيبويه، ليس هذا حيث ذهبتَ، وإنما (ليس) ها هنا استثناء»، فكان أن أَنِف سيبويه من ذلك وقد أخذ قراره، فقال: لا جرم لأطلبَنَّ علمًا لا تلحنني فيه أبدًا، فطلب النحو، ولزم الخليل فبرع[2]. وفي رواية أنه لزم مجلس الأخفش مع يعقوب الحضرمي والخليل وسائر النحويين.

وخبر آخر يرويه حماد بن سلمة أنه جاء إليه سيبويه مع قوم يكتبون شيئًا من الحديث، قال حماد: «فكان فيما أمليتُ ذكر الصفا، فقلت: صعد رسول الله ﷺ الصفا»، وكان هو الذي يستملي فقال: «صعد النبي ﷺ الصفاء»، فقلت: يا فارسي، لا تقل الصفاء؛ لأن الصفا مقصور. فلما فرغ من مجلسه كسر القلم وقال: «لا أكتب شيئًا حتى أُحكِمَ العربية»[3].

فهذا يدل على أهمية العربية واشتراطها في كتابة الحديث وروايته عند المحدثين في ذلك العصر، والبخاري هو مبرزهم وإمامهم بلا مدافع، فكيف لا يتحقق ذلك فيه ؟! أو يكون أعجمياً لا يفصح بالعربية ؟! سبحانك هذا بهتان عظيم.

الخامس: لو أن الإمام البخاري لم يهتم بالعربية ولم يعرفها فكيف يفعل في مجالس الحديث التي يحضرها وبخاصة خارج بلده، وهو صاحب الرحلة الطويلة للحجاز والشام ومصر والعراق وغيرها، وهي مليئة بالعلماء العرب الفصحاء.

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في كتابه الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، حديث (١٢١٢) وتفرد به، وقد روي الحديث بمعنى آخر عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال: (ما من أحد من أصحابي إلا لو شئت لأخذت عليه في خلقه ليس أبا عبيدة بن الجراح)؛ أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/٢٦٦)، مرسلاً ووثَّق رجاله، ووافقه ابن حجر في الإصابة، لكن ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٩ / ٤٥٤).

(٢) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: د. محمود الطحان، طبع مكتبة المعارف – الرياض، (١٢١٢)، الحموي، معجم الأدباء (٣/١١٩٩) .

(٣) الزجاج، أبو القاسم عبد الرحمن، مجالس العلماء، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، طبع: دار الرفاعي بالرياض، الطبعة: الثانية ١٤٠٣ هـ (ص/١١٨) .

المطلب الثالث: شبهة اعتراض بعض العلماء على تفسيرات البخاري في كتابه وتخطئتهم له

فقد استدل بعض من طعن في البخاري باعتراض بعض العلماء على تفسيراته اللغوية في كتابه الصحيح، وتخطئتهم له في ذلك مما يستدعي ضعفه وعدم تمكنه في العربية، ومن هؤلاء علي الكوراني الذي أرجع السبب في ذلك -حسب زعمه- إلى ضعف البخاري في عربيته، حيث انعكس ذلك سلباً على نقل رواياته وحديثه، فقال في كتابه الآثم (الماء الجاري في غسل البخاري): ضعْفُه -يعني البخاري- في اللغة العربية وخطؤُه في تفسيرها، ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

أ - تفسير البخاري للدعاء بالإيمان حيث قال: (دعاؤكم: إيمانكم، لقولـه تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾[الفرقان:٧٧]، ومعنى الدعاء في اللغة: الإيمان)[١]، ولا تجد لغوياً في العالم فسر الدعاء بالإيمان، من بخارى إلى السودان !.

ب - ومن جهله تفسيره «أكملتُ» بـ «كملوا»، قال: (باب زيادة الإيمان ونقصانه، وقول الله تعالى: ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾[الكهف:١٣]، وقال: ﴿ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة:٣]، فـإذا تـرك شيئاً من الكمال فهو ناقص)[٢]!.ومن تحريفه أنه حذف كلمة اليوم في أول الآية، لأنه لو أبقاها لانفضح تفسيره: اليوم كملوا دينكم !.

ج - وتفسـيره ﴿ فَسَلَامٌ لَكَ ﴾[الواقعة:٩١]: «أي مسـلم لـك أنـك مـن أصـحاب اليمين»[٣] ومعناه: طوبى لك وهنيئاً لك. كما يدل على جهله بالعربية ضعف عبارته، وأنه قد يستعمل اللفظ في غير معناه»[٤] أ.هـ.

الرد على هذه الشبهة

ما ادعاه علي الكوراني وغيره من وجود أخطاء في تفسيرات البخاري اللغوية، وضرب مثلاً لذلك بما ذكره من تفسير البخاري للدعاء في الآية بالإيمان في قوله سبحانه: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾[الفرقان:٧٧] بأنه الإيمان، فالرد عليه أن علي الكوراني في

(١) صحيح البخاري (٨/١)

(٢) صحيح البخاري (١٧/١) .

(٣) صحيح البخاري (١٤٦/٦) ,

(٤) الكوراني، علي العاملي، الماء الجاري في غسل البخاري، الطبعة الأولى ٢٠١٨، (ص/٤٢) .

كتابه [الماء الجاري في غسل البخاري]، اتكأ في هذه الشبهة على مناقشة العيني للإمام البخاري في تفسير كلمة الدعاء بالإيمان، فقال العيني في شرحه: «قال البخاري ومعنى الدعاء في اللغة الإيمان)، قال العيني: «ينبغي أن يتثبت فيه؛ فإني لم أره عند أحد من أهل اللغة»[١]، فمعنى اعتراض العيني أن هذا المعنى ينبغي أن يبحث فيه، فإنه ليس معروفًا عند أهل اللغة بتفسير الدعاء في اللغة بالإيمان، فالرد كالآتي:

أ - إن تفسير البخاري هذا لا يقدح في إمامته ولا علو كعبه في الحديث؛ فضلاً عن تضعيف الحديث بسببه وهو ما أراده الكوراني من نقل كلام العيني والاعتراض به. ففرق بين غرض العيني وغرض الكوراني وأمثاله.

ب - جاء عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قوله: «لولا دعاؤكم - يقول - لولا إيمانكم»، فكأن الإمام البخاري - رحمه الله - فسر هذه اللفظة تفسيرًا شرعيًّا، ومتكئًا على قول عبد الله بن عباس، فالإمام البخاري أثريٌّ في لغته، أثريٌّ في تفسيره، فكأنه نقل تفسير هذه الكلمة عن أفصح العرب عبد الله بن عباس حين قال: «لولا دعاؤكم أي لولا إيمانكم»، وكأنه يقول: إن من معاني الدعاء الإيمان؛ بدليل قول ابن عباس ابن عم رسول الله – ﷺ – العربي الفصيح.

لذلك اعتد الزبيدي اللغوي في كتابه: «تاج العروس» بهذا التفسير، وجعله من معاني الدعاء، حيث قال: «والدعاء الإيمان، ذكره شراح البخاري»[٢].

ج - لعله يكون وجهاً من وجوه العربية في تفسير هذا المعنى، ولغة العرب واسعة،

وهذا قائم على الاجتهاد، ولا إنكار في مسائل الاجتهاد، فكثير من المسائل التي تعقبت على البخاري من ناحية اللغة هي من هذا القبيل، ولهذا السبب ألف الإمام ابن مالك الأندلسي كتابه: «شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح»، ليلتمس العذر الواسع للبخاري في اختياراته اللغوية.

يقول محقق الكتاب الدكتور طَه مُحسِن: «تبين مما تقدم أن ابن مالك كان يريد من وراء الكتاب في ظاهر الأمر الاحتجاج لما ورد من مشكلات في ألفاظ حديث «الجامع

(١) العيني، عمدة القاري (١/١١٧) .

(٢) الزبيدي، محمد بن محمد الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، وزارة الإعلام، الكويت (٣٨/٥٣) .

الصحيح» للبخاري والاستدلال على فصاحتها وموافقتها لكلام العرب، وتوجيه إعرابها على وفق القواعد النحوية»[١].

د - على فرض أن البخاري أخطأ في نسبة هذا المعنى إلى لغة العرب، فهذا الخطأ مغمور في بحر إصابته، وقد أخطأ قبله كثير من أهل العلم كأبي عبيدة معمر بن المثنى وأبي عبيد القاسم بن سلام، وغيرهم.

وقد ألف ابن قتيبة كتابًا أسماه [إصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث]، وأبو عبيد القاسم بن سلام هو إمام الحديث والعربية، فهل يطعن ذلك في عربيته وإمامته ؟!.

الشبهة الرابعة: شبهة اعتراضهم على بعض اختيارات البخاري في علم التصريف

فقد وجد لهم اعتراضات على اختيارات للبخاري في علم التصريف، ومن ذلك:

- اعتراض العيني على قول البخاري: «استيأسوا، افتعلوا من يئست»[٢] كما قال العيني: «يعني: وزن استيأسوا افتعلوا وليس كذلك، بل وزنه: استفعلوا، والسين والتاء فيه زائدتان للمبالغة. وقال الكرماني: استيأسوا استفعلوا، وفي بعض النسخ: افتعلوا، وغرضه بيان المعنى، وأن الطلب ليس مقصودا فيه ولا بيان الوزن والاشتقاق. قلت: قال بعضهم في كثير من الروايات: افتعلوا، وقوله: إن الطلب ليس مقصودا منه، كلام واه لأن من قال: إن السين فيه للطلب، قال: ليس إلا للمبالغة كما ذكرناه، نص الزمخشري عليه في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ﴾[يوسف: ٨٠]. قوله: ولا بيان الوزن، أيضا كلام واه، لأنه إذا لم يكن مراده بيان الوزن لم قال: استيأسوا افتعلوا؟ وهذا عين بيان الوزن، والظاهر أن مثل هذا من قصور اليد في علم التصريف»[٣]. فكأن العيني ينسب هذا الخطأ الصرفي لقصور البخاري في علم التصريف.

---

(١) مقدمة كتاب «شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح (ص/ ١٣) .

(٢) صحيح البخاري (٤/ ١٥٠) .

(٣) العيني، بدر الدين محمود بن أحمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، طبع: دار إحياء التراث العربي – بيروت، (١٥/ ٢٨٥) .

الرد على هذه الشبهة

فقضية تخطئتهم البخاري في تفسير: «استيأسوا» افتعلوا من يئست، والرد عليها:

أ - ببيان معنى كلام البخاري، وهو على وجهين:

١ - إن هناك اختلافًا وقع بين الرواة لنسخ صحيح البخاري؛ ففي أكثرها: «افتعلوا»، وفي بعضها: «استفعلوا»، وهذا الأخير هو الصواب من جهة الرواية؛ كما ذكره شراح صحيح البخاري: كالحافظ ابن حجر، والقسطلاني[١]؛ يقول الحافظ ابن حجر: «وقع في كثير من الروايات: «افتعلوا» والصواب الأول»[٢] يعني: استفعلوا. وبناء عليه: لا يمكن الجزم بأن الإمام البخاري قد قال: «افتعلوا».

٢ - وعلى التسليم بأن كلمة: «افتعلوا» ثابتة من قول الإمام البخاري؛ يمكن حمل مقصوده على بيان المعنى فقط، من باب الافتعال؛ وهذا هو توجيه الكرماني لتلك الرواية؛ يقول الكرماني: «قوله (واستيأسوا) أي استفعلوا وفي بعضها افتعلوا وغرضه بيان المعنى وأن الغرض ليس مقصودا فيه لا بيان الوزن والاشتقاق»[٣].

فخلاصة القول: إن هناك اختلافاً بين روايات صحيح البخاري: ففي بعض الروايات: «استفعلوا»، وفي بعضها: «افتعلوا»، ولكلٍّ توجيه صحيح لا يقدح في علم الإمام البخاري؛ فعلى الرواية الأولى: «استفعلوا» – وهي الصواب – يكون مراد الإمام البخاري بيان وزن الكلمة واشتقاقها من جهة الصرف، وعلى الرواية الثانية: «افتعلوا» يكون مراده بيان معنى الكلمة فقط، وكلا المرادين صحيح لا إشكال فيه، وهو مما يبرز تمكن الإمام البخاري في علمي الصرف واللغة.

ب - من واقع البخاري في صحيحه ما يدل على إتقانه للعربية ومهارته فيها، وذلك من خلال بيانه للكلمات وتفسير الآيات، كما يأتي:

---

(١) ابن حجر، فتح الباري (٦/٤١٩)، القسطلاني، إرشاد الساري (٥/٣٧٢) .

(٢) ابن حجر، فتح الباري (٦/٤١٩)

(٣) الكرماني، محمد بن يوسف بن علي، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، طبع: دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية: ١٩٨١م، (١٤/٤١) .

١ - بيانه لأصول الكلمة وتصريفها[١]: ومن الأمثلة على ذلك:

- قال في قوله تعالى: ﴿ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴾[الزخرف:٢٦]: قال البخاري « العرب تقول نحن منك البراء والخلاء، والواحد والاثنان والجميع من المذكر والمؤنث، يقال فيه براء لأنه مصدر، ولو قال: بريء لقيل في الأنثى بريئان والجميع بريئون، وقرأ عبد الله: ﴿ إِنَّنِي بَرَآءٌ ﴾.

وهذا من الإمام البخاري غاية في الدقة والإتقان للعربية، وأيده ابن حجر في شرحه وزاد كلاماً لإمام العربية أبي عبيدة قوله «إنني براء مجازها لغة عالية يجعلون الواحد والاثنين والثلاثة من المذكر والمؤنث على لفظ واحد وأهل نجد يقولون أنا بريء وهي بريئة ونحن براء»[٢].

فهل يقول مثل هذا الكلام من لا يعرف العربية -زعموا- ؟!

- قال تعالى: ﴿ فَمَا ٱسۡطَـٰعُواْ أَن يَظۡهَرُوهُ ﴾ [الكهف:٩٧]. قال البخاري: «يعلوه، استطاع استفعل، من أطعت له، فلذلك فتح أسطاع يسطيع، وقال بعضهم: استطاع يستطيع»[٣].

علق عليه ابن حجر على قول البخاري «يعلوه» قال: «هو قول أبي عبيدة»[٤].

وعلق عليه العيني بزيادة شرح وبيان دقة البخاري في اختيار أوزان الفعل وتصريفاته فقال:» أشار به إلى أن: فما اسطاعوا الذي هو بفتح الهمزة وسكون السين بلا تاء مثناة من فوق، جمع مفرده: اسطاع، وزنه في الأصل: استفعل، لأنه من: طُعْت، بضم الطاء وسكون العين، لأنه من باب فعل يفعل مثل نصر ينصر، ولكنه أجوف واوي لأنه من الطوع، يقال: طاع له وطعت له، مثل: قال له وقلت له، ولما نقل طاع إلى باب الاستفعال صار: استطاع، على وزن: استفعل، ثم حذفت التاء للتخفيف بعد نقل حركتها إلى الهمزة فصار: اسطاع، بفتح الهمزة

---

(١) مستفاد بعضه من موقع ملتقى أهل التفسير https://mtafsir.net/forum مقال بعنوان «بيت العنكبوت: نسف ادعاء أيلال أنَّ فارسية البخاري مانعة له من تأليف كتاب الجامع الصحيح» للكاتب عبد الحميد المير.

(٢) ابن حجر، فتح الباري (٥٦٨/٨) .

(٣) صحيح البخاري (١٣٧/٤) .

(٤) ابن حجر، فتح الباري (٣٨٥/٦) .

وسكون السين، وأشار إلى هذا بقوله: فلذك فتح: اسطاع، أي: فلأجل حذف التاء ونقل حركتها إلى الهمزة، قيل: اسطاع يسطيع، بفتح الهمزة في الماضي وفتح الياء في المستقبل..»[(١)]

فانظر إلى دقة البخاري وتأصله في علم التصريف.

٢- بيان المعاني اللغوية والدلالية، فكثيراً ما يبين البخاري في صحيحه معاني الكلمات ودلالاتها اللغوية، والغوص في ذلك إلى حد مشاركته لأئمة اللغة وأساطين العربية في شرحه وبيانه، ومن الأمثلة على ذلك ما يأتي:

- قال تعالى: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾﴾ [الواقعة:٣٧-٣٨]. قال البخاري: «عرباً مثقلة واحدها عروب، مثل صبور وصبر، يسميها أهل مكة: العربة، وأهل المدينة: الغنجة، وأهل العراق: الشكلة، والعرب المحببات إلى أزواجهن»[(٢)].

علق ابن حجر على قوله: «صبور وصبر» بأنه هو قول الفراء» والفراء إمام العربية بلا منازع.

-وقال تعالى: ﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ [التوبة:٨٧]. قال البخاري: «الخالف الذي خلفني، فقعد بعدي، ومنه يخلفه في الغابرين، ويجوز أن يكون النساء من الخالفة، وإن كان جمع الذكور، فإنه لم يوجد على تقدير جمعه إلا حرفان فارس، وفوارس وهالك وهوالك»[(٣)].

فالبخاري رحمه الله في تفسير كلمة الخوالف رجع إلى العربية وقواعد الصرف، ووافق علماءه، لذا هو تفسير أبي عبيدة معمر بن المثنى، كما أن البخاري يستعين في بيان المعاني بباقي نصوص الوحيين، فقوله:»ومنه يخلفه في الغابرين» كما قال ابن حجر أن البخاري أراد الإشارة إلى حديث عوف بن مالك في الصلاة على الجنازة فقد جاءت كذلك.

وباقي كلام البخاري هو موافق لتفسير أبي عبيدة له، وذلك في قوله: «رضوا بأن يكونوا مع الخوالف» قال: يجوز أن يكون الخوالف ها هنا النساء، ولا يكادون يجمعون الرجال على فواعل غير أنهم قد قالوا: فارس وفوارس، وهالك وهوالك» انتهى كلام أبي

(١) العيني، عمدة القاري (١٥/٢٣٥) .
(٢) صحيح البخاري (٦/١٤٦) .
(٣) صحيح البخاري (٦/٦٣) .

عبيدة، قال ابن حجر: وقد استدرك عليه ابن مالك شاهق وشواهق، وناكس ونواكس، وداجن ودواجن، وهذه الثلاثة مع الاثنين جمع فاعل وهو شاذ، والمشهور في فواعل جمع فاعلة، فإن كان من صفة النساء فواضح»[١].

- قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ [الإنسان: ١]، قال البخاري: «يقال معناه: أتى على الإنسان و(هل) تكون جحداً وتكون خبراً، وهذا في الخبر يقول كان شيئاً لم يكن مذكوراً، وذلك حين خلقه من طين إلى أن ينفخ فيه الروح. (أمشاج): الأخلاط، ماء المرأة وماء الرجل، الدم والعلقة، ويقال إذا خلط: مشيج كقولك خليط وممشوط مخلوط»[٢].

وعلق عليه ابن حجر بأن تفسير البخاري لـ(هل) بأنها تكون جحداً وتكون خبراً إن هذا هو قول يحيى بن زياد الفراء (٢٠٧هـ) بلفظه[٣] مما يدل على أن الإمام البخاري ملم بكلام أئمة العربية وبيانهم.

«المهارة اللغوية شرط أساسي لأي تفسير أصيل، ولا تكاد تجد تفسيرا معتبرا إلا إذا كان مؤصلا تأصيلا لغويا قويا. والبخاري إمام متفنن والجانب اللغوي في الجامع قد جاء محكم البيان غاية في الإتقان، شأنه في ذلك شأن بقية الفنون كالحديث والتفسير والفقه، وقد كان مجاز القرآن لأبي عبيدة ومعاني القرآن للفراء متغلغلين في حافظة الإمام البخاري، فأفرغ منهما في صحيحه كمية كافية، وتكاد تكون الجوانب اللغوية التفسيرية في الجامع هي مادة الكتابين، غير أن البخاري هذب كليهما واختصره اختصارا. بيد أنه غلبت عليه الاستقلالية العلمية والنزعة الاجتهادية»[٤].

٣ - تراجم البخاري في كتابه الصحيح دليل على إمامته في العربية وإتقانه لها، فهي تتميز باليسر والسهولة في الدلالة على المعنى المقصود، وقد يتبعها ببيان شرح وتمثيل، بل أبعد من ذلك بحيث جعل تراجمه دليلاً على استنباطاته الفقهية حتى قيل: «فقه البخاري في تراجمه»، أي في عناوين الأبواب.

---

(١) ابن حجر، فتح الباري (٨/ ٣١٤) .

(٢) صحيح البخاري (٦/ ١٦٤) .

(٣) ابن حجر، فتح الباري (٨/ ٦٨٤) .

(٤) منهج الإمام البخاري في التفسير من خلال كتابه (الصحيح) رسالة علمية للباحث سيد أحمد الإمام (ص/٤٠٣)

قال الدكتور زين العابدين رستم: «ولقد غاب عن الكاتب -وإنه لَغائبٌ- أن الثقافة العربية في ذاك العهد السحيق هي الثقافة الغالبة على شعوب المشرق العربي والعجمي، إذ ليس ينبغ عالم في أي مجال من مجالات العلم والمعرفة ما لم يكن ذا حظ عظيم في العربية إذ كانت العربية حينئذ لغةَ العلم وأسلوبَ التفكير فيه، ثم ما ظنُّ الكاتب بالبخاري اللغوي؟ لقد أثبتت تراجم البخاري في كتابه تضلعه من العربية وشدة ميله إليها وغِنَاءه فيها، بل لقد لاحظ المتتبعون لهذه التراجم أن واضعها كثيرا ما كان يشرح اللفظة الغريبة شرحا لغويا يذكر بما يفعله كبار أهل اللغة في أزمانهم»[1].

فنعرف بذلك إمام البخاري في العربية من خلال بيانه وتفسيره لكثير من الكلمات والمفردات والتي توحي بأن له علماً غزيراً في العربية ودلالات مفرداتها.

٤ - استشهاد البخاري بشعر العرب في بيان المعاني والكلمات، فقد كان شعر العرب من المعين على فهم غريب القرآن والحديث، وقد ملأت كتب التفسير وشرح الحديث من الشواهد الشعرية التي تكشف المعنى وتوضح الغريب، حتى أصبح الشعر من المراجع المعتمدة في ذلك، ومما نقل عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «يا أيها الناس عليكم بديوانكم لا يضل فقالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم»[2].

ومما يذكر أن نافع بن الأزرق سأل عبد الله بن عباس عن كثير من غريب القرآن فأجابه ابن عباس عن جميع أسئلته بشواهد شعرية وكان من بينها قوله تعالى: ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [المعارج:٣٧] الذي قال فيه بن عباس أما سمعت عبيد بن الأبرص يقول:

فجاؤوا يهرعون إليه حتى يكونوا حول منبره عزينا

حتى وصل استشهاد ابن عباس في مئتين وخمسين موضعاً من القرآن[3].

---

(١) رستم، محمد زين العابدين، المعركة تحت راية البخاري، طبع مكتبة سلمى، تطوان، المغرب (ص/٢٥) .

(٢) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٩٧٤ م (٢/١٧٩) .

(٣) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (١/١٢١) .

وقد عزف عن رواية الشعر أو التفسير به بعض المحدثين المفسرين كسفيان الثوري وعبد الرزاق الصنعاني في تفسيريهما، وكذا الإمام أحمد بن حنبل، فقد سئل عن القرآن يمثل الرجل له ببيت من الشعر فقال: «ما يعجبني»[١].

قال أبو بكر الأنباري: «قد جاء عن الصحابة والتابعين كثيرا الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله بالشعر وأنكر جماعة لا علم لهم على النحويين ذلك وقالوا إذا فعلتم ذلك جعلتم الشعر أصلا للقرآن وقالوا وكيف يجوز أن يحتج بالشعر على القرآن وهو مذموم في القرآن والحديث قال وليس الأمر كما زعموه من أنا جعلنا الشعر أصلا للقرآن بل أردنا تبيين الحرف الغريب من القرآن بالشعر لأن الله تعالى قال: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزخرف: ٣] وقال:﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٥]» [٢].

أما الإمام البخاري فقد سلك في كتابه الصحيح طريقة الاستشهاد بالشعر في تفسير القرآن والحديث، لكنه بحذر[٣]، فقد عقد باباً في كتاب الأدب بعنوان: «باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه»[٤]، وعقد باباً في كتاب الصلاة بعنوان: «باب الشعر في المسجد»، وذكر تحته حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، أنه سمع حسان بن ثابت الأنصاري، يستشهد أبا هريرة: أنشدك الله، هل سمعت النبي ﷺ يقول: «يا حسان، أجب عن رسول الله ﷺ، اللهم أيده بروح القدس» قال أبو هريرة: نعم»[٥].

مما يدل على أن الإمام البخاري يرى جواز إنشاد الشعر في المسجد؛ فضلاً عن الاحتجاج به في بيان المعاني والمفردات والتوفيق بين النصوص، ومن ذلك ما يأتي:

(١) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٩٥٧م، طبع: دار إحياء الكتب العربية (٢/ ١٦٠). وقد ذكر الشيخ الطاهر بن عاشور هذا الأثر عن أحمد في كتابه التحرير والتنوير (١/ ٢٠)، ثم علق عليه قائلاً: «هو عجيب، وإن صحَّ عنه، فلعله يريد كراهة أن يُذكرَ الشعر لإثبات صحة ألفاظِ القرآن، كما يقع من بعضِ الملاحدة، روي عن ابن الراوندي - وكان يُزَنُّ بالإلحاد- قال لابن الأعرابي: أتقول العرب: لباس التقوى؟. فقال ابن الأعرابي: لا باس لا باس، وإذا أنجى الله الناس، فلا نجَّى ذاك الراس، هبك يا ابن الراوندي تنكر أن يكون محمدٌ نبيًّا، أفتنكر أن يكونَ فصيحاً عربيًّا؟».

(٢) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (١/ ٣٤٦) .

(٣) منهج البخاري في التفسير (ص/ ٤١٤) .

(٤) صحيح البخاري (٨/ ٣٤) .

(٥) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الشعر في المسجد، حديث (٤٥٣) .

١ - قال البخاري باب ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [الزمر: ٥٧]، حدثنا أبو النعمان، أخبرنا جرير هو ابن حازم، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب، قال: رأيت النبي ﷺ يوم الخندق ينقل معنا التراب، وهو يقول:

«والله لولا الله ما اهتدينا ولا صمنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا، وثبت الأقدام إن لاقينا
والمشركون قد بغوا علينا، إذا أرادوا فتنة أبينا»(١)

فاستشهاد البخاري بهذا الحديث الذي فيه أبيات من الشعر بعد هاتين الآيتين لتثبت على أن الله تعالى قدر كل شيء على العباد، ومنه الهدى والضلال، وليس كما زعمت القدرية بأنه لا قدر.

٢ - قال البخاري: «﴿لَأَوَّاهٌ﴾ [التوبة: ١١٤]: » شفقاً، وفرقا، وقال الشاعر:

إذا قمـــت أرحلها بليل .. تأوه آهة الرجـل الحزين

فيستشهد البخاري لبيان معنى (لأواه) بهذا البيت الذي يتبين منه المعنى المراد وهو الشفقة، لذا قال العيني: «كأنه-يعني البخاري- يحتج بهذا البيت على أنَّ لفظ أواه على وزن فعال من التأوه»(٢)

وقد نسب هذا البيت للشاعر المثقَّب العبدي في قصيدة يقول في مطلعها:

أفاطم قبل بينك متعيني * ومنعك ما سألت كأن تبيني**(٣).

وقد استشهد بهذا البيت كثير من علماء اللغة المتقدمين والمتأخرين أمثال الخليل الفراهيدي وابن فارس وابن جني والجوهري وغيرهم(٤).

والمُثقِّب العَبدِي شاعر جاهلي استشهد ببيته البخاري على معنى (أواه) مما يدل على اطلاع البخاري على كتب اللغة ودواوين العرب والشعر ومنها الشعر الجاهلي، فهل بعد هذا العلم وصف بعدم عربيته ؟!.

(١) صحيح البخاري، كتاب القدر، باب ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾، حديث (٦٦٢٠) .
(٢) العيني، بدر الدين الحنفي، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (٢٧/٢٧٥) .
(٣) انظر البيت في المفضليات، للمفضل بن محمد الضبي، طبع: دار المعارف، ٢٠٠٧م، (ص/٥٢) .
(٤) انظر كتاب العين للخليل (٤/١٠٤) ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/١٦٣)، والخصائص لابن جني (٣/٣٨)، والصحاح للجوهري (٤/١٧٠٧) .

الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخراً، لقد تبين لي من خلال هذا البحث ما يأتي:

أ - النتائج وهي كالآتي:

أولاً: الوقوف على حقيقة شبهة اتهام البخاري بالعجمة والضعف في العربية، والغرض الذي لأجله تم إطلاقها؛ وهو السبيل لعدم الاحتجاج بالسنة النبوية عموماً وصحيح البخاري خصوصاً .

ثانياً: بيان أدلة القائلين بهذه الشبهة، والرد عليها مع تفنيدها، وأنها في الحقيقة شبه باطلة لا تصل إلى الحجج القويمة.

ثالثاً: الإثبات بالأدلة الواضحة من واقع ترجمة البخاري أنه تعلم العربية وأتقنها وصار من أهلها.

رابعاً: الاطلاع من واقع صحيح البخاري على علو كعبه في العربية وإتقانه لها، وذلك من خلال كلامه على الأبواب وشرح الغريب.

ب - وأما التوصيات، فأوصي بما يأتي:

١ - ضرورة العناية بصحيح البخاري من ناحية اللغة وقواعد العربية، والرد على المخالفين من خلال الجامع الصحيح.

٢ - الرد على بعض العلماء ممن تكلم على البخاري في بعض اختياراته اللغوية كالعيني وغيره، وتوضيح وجه اختيار البخاري للمفردة بالأدلة العلمية .

وفي الختام: أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعلنا وإياكم على الصراط المستقيم، إنه بكل جميل كفيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع

الألباني، محمد ناصر الدين. (١٤١٥هـ). *السلسلة الصحيحة*. الرياض: مكتبة المعارف.

البخاري، محمد بن إسماعيل. (د.ت). *التاريخ الكبير* (هاشم الندوي وآخرون، تحقيق). الهند: دائرة المعارف العثمانية.

البخاري، محمد بن إسماعيل. (١٤٣٦هـ). *الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه* (ط.٣) (محمد زهير بن ناصر الناصر، تحقيق). جدة: دار طوق النجاة.

البيهقي، أحمد بن الحسين. (١٩٧٠). *مناقب الشافعي* (السيد أحمد صقر، تحقيق). القاهرة: مكتبة دار التراث.

البيهقي، أحمد بن الحسين. (٢٠٠٣). *شعب الإيمان* (مختار أحمد، تحقيق). الرياض: مكتبة الرشد.

التلمساني، أحمد بن علي المقري. (١٩٦٨). *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب* (د. إحسان عباس، تحقيق). بيروت: دار صادر.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. (د.ت). *اقتضاء الصراط المستقيم* (د. ناصر عبدالكريم العقل، تحقيق). الرياض: مكتبة الرشد.

ابن حبان، محمد بن حبان أبو حاتم البستي. (١٩٧٥). *الثقات* (ط.٢) (السيد شرف الدين أحمد، تحقيق). بيروت: دار الفكر.

ابن حجر، أحمد بن علي. (١٩٨٦). *تقريب التهذيب* (محمد عوامة، تحقيق). سوريا: دار الرشيد.

ابن حجر، أحمد بن علي. (١٣٧٩هـ). *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. بيروت: دار المعرفة.

الحموي، ياقوت بن عبد الله. (١٩٩٣). *معجم الأدباء* (إحسان عباس، تحقيق). بيروت: دار الغرب الإسلامي.

الخطابي، حمد بن محمد. (١٤٠٢هـ). *غريب الحديث* (عبد الكريم إبراهيم العزباوي، تحقيق). مكة: جامعة أم القرى.

الخطيب البغدادي، أحمد بن علي. (د.ت). *الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع* (د. محمود الطحان، تحقيق). الرياض: طبع مكتبة المعارف.

الخطيب البغدادي، أحمد بن علي. (د.ت). *الكفاية في علم الرواية* (أبو عبدالله السورقي، إبراهيم حمدي المدني، تحقيق). المدينة المنورة: المكتبة العلمية.

الخطيب البغدادي، أحمد بن علي. (١٤٠٧هـ). موضح *أوهام الجمع والتفريق* (د. عبد المعطي أمين قلعجي، تحقيق). بيروت: دار المعرفة.

الخطيب البغدادي، أحمد بن علي. (٢٠٠٢). *تاريخ بغداد* (الدكتور بشار عواد معروف، تحقيق). بيروت: دار الغرب الإسلامي.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. (د.ت). *المقدمة* (علي عبد الواحد، تحقيق). مصر: نهضة مصر للطبع والنشر.

ابن خلكان، أحمد بن محمد. (د.ت). *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان* (إحسان عباس، تحقيق). بيروت: دار صادر.

الذهبي، محمد بن أحمد. (د.ت). *سير أعلام النبلاء* (مجموعة محققين). بيروت: مؤسسة الرسالة.

رستم، محمد زين العابدين. (د.ت). *المعركة تحت راية البخاري*. المغرب: مكتبة سلمى، تطوان.

رشيد أيلال، صحيح البخاري.(٢٠١٧). *نهاية أسطورة*. المغرب: طبع دار الوطن.

الزبيدي، محمد بن محمد. (د.ت). *تاج العروس من جواهر القاموس* (مجموعة من المحققين). الكويت: وزارة الأعلام.

الزجاج، أبو القاسم عبد الرحمن. (١٤٠٣هـ). *مجالس العلماء* (ط.٢) (عبد السلام محمد هارون، تحقيق). الرياض: دار الرفاعي.

الزركشي، محمد بن عبد الله. (١٩٥٧). *البرهان في علوم القرآن* (محمد أبو الفضل إبراهيم، تحقيق). القاهرة: دار إحياء الكتب العربية .

بن خطري، سيد أحمد الإمام. (١٤١٥هـ). *منهج الإمام البخاري في التفسير من خلال كتابه* (الصحيح) [رسالة علمية، جامعة أم القرى]. جامعة أم القرى.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (١٩٧٤). *الإتقان في علوم القرآن* (محمد أبو الفضل إبراهيم، تحقيق). مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

أبو الحسن، عبدالغني عبدالخالق. (١٤٠٥هـ). *الإمام البخاري وصحيحه*. السعودية: دار المنارة للنشر.

العيني، محمود بن أحمد. (د.ت). *عمدة القاري شرح صحيح البخاري*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ابن فارس، أحمد بن فارس. (٢٠٠٢). *معجم مقاييس اللغة* (عبد السلام محمد هارون، تحقيق). دمشق: اتحاد الكتاب العرب.

الكرماني، محمد بن يوسف. (١٤٠١هـ). *الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري* (ط.٢). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الكوراني، علي العاملي. (٢٠١٨). *الماء الجاري في غسل البخاري* (ط.١).

ابن مالك، محمد بن عبد الله. (١٤٠٥هـ). *شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصَّحيح* (الدكتور طَه مُحسِن، تحقيق). مصر: مكتبة ابن تيمية.

المزي، يوسف بن الزكي عبدالرحمن. (١٩٨٠). *تهذيب الكمال* (د. بشار عواد معروف، تحقيق). بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن منظور، محمد بن مكرم. (١٩٨٤). *مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر* (روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، تحقيق). دمشق: طبع دار الفكر.

موقع ملتقى أهل التفسير https://mtafsir.net/forum

JOURNAL OF SHARIA AND ISLAMIC STUDIES

A refereed Academic Quarterly, Published by the Academic Publication Council - University of Kuwait

A foreigner Al-Bukhari's lawsuit: View and critique

Dr. Saad Fajhan Al-Doausari

Member of Faculty at Interpretation & Hadith, Sharia & Islamic Studies Collage, Kuwait University

Academic Publication Council

جامعة الكويت
KUWAIT UNIVERSITY

ISSN: 1029-8908

Volume 38 - Issue No. 138

Rabi I 1446 A.H. - September 2024